

الأستاذة الكبرى سعاد

المطبوع رقم 3

العولمة

مقاومة واستثمار

تأليف

د. إبراهيم الناصر

العولة مقاومة واستثمار

تقديم:

هذا الكتيب محاولة اجتهادية لطرح رؤية موضوعية لقضية العولة، وهي الجمع بين فكرة المقاومة والاستثمار؛ وذلك أن جزءاً من الخطاب الإسلامي تجاه هذه القضية يتناول جانب المقاومة وبيان المخاطر الضخمة للعولة؛ وهذا حق لا مرية فيه وأمر مهم لا بد منه. ولكن جانب الصورة الآخر يبدو أنه لا يقل أهمية على الرغم من قلة من يتطرق إليه؛ حيث نتلمس وجودنا الإسلامي من خلال خريطة العولة الضخمة والسريعة الإيقاع فيما نسميه في هذا الطرح بـ (الاستثمار).

وهناك جانب آخر وهو جانب تصوري يساعد على التوصل إلى الحكم السابق، وهو فهمنا لطبيعة هذه العولة من خلال الملامح والواقع والمستقبل، وأن فيها جانباً ليس إرادة مقصودة للأقوياء، وينبغي على هذا الفهم أن بعض سلبياتها قد يرتد على أصحابها؛ فهل تنجح هذه الأطروحة في تحويل بعض صور الخطاب العام حول هذه القضية ليكون أكثر تحليلاً وموضوعية؟

بسم الله الرحمن الرحيم

ح مجلة البيان، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الناصر، إبراهيم ناصر

العولة مقاومة واستثمار، إبراهيم ناصر الناصر،
الرياض، ١٤٢٦هـ

٦٠ ص؛ ٢٠ × ١٤

ردمك: ٣-١-٩٦٣٧-٩٩٦٠

١- العولة ٢- العلاقات الاقتصادية الدولية

١- العنوان

١٤٢٦/٢٨٨٣

ديوي ٣٨٢١

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٢٨٨٣

ردمك: ٣-١-٩٦٣٧-٩٩٦٠

مقدمة:

أول من أشار إلى هذا المصطلح بمفهومه الجديد هو العالم الكندي «مارسال ماك» أستاذ الإعلاميات السوسولوجية في جامعة تورنتو في كندا، عندما صاغ في عقد الستينيات مفهوم القرية الإلكترونية، ثم ذاع وانتشر في مجال الاقتصاد والأسواق والاتصالات في بداية عقد التسعينيات، وقد رسَّخ هذا المصطلح الجديد حصول حدثين ضخمين أثرًا في حركة العلاقات الدولية واتجاهاتها وعلى موازين القوى في العالم^(١):

الأول: سقوط المعسكر الشرقي الذي اتخذ من سقوط جدار برلين رمزاً له في عام ١٩٨٩م، والذي أنهى فترة من الحرب الباردة بين المعسكرين (وارسو، الأطلسي) بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وصاحبها حالات من الاستقطاب والمد والجزر في علاقات هذين المعسكرين؛ وصلت في الجزر إلى التهديد بحرب عالمية ثالثة مباشرة أثناء أزمة الصواريخ الكوبية، وفي المد إلى الاتفاق على تقسيم مناطق نفوذ في بعض بقاع العالم، وبين ذلك حصلت حروب بالوكالة كما حصل في

(١) أصل هذا الكتاب مقالة نشرت في مجلة البيان في عددها رقم (١٦٧) رجب ١٤٢٢هـ، قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، وما تلاها من حوادث مست بعض جوانب في ظاهرة العولمة، لم أتطرق لها لهذا السبب إلا أن بعض الإحصائيات تم تحديثها.

فيتنام وأفغانستان. وقد أتاحت حالة الحرب الباردة والصراع والتنافس العالمي على مناطق النفوذ؛ وجود هامش من الحرية لما سمي بـ(دول عدم الانحياز) مكن كثيراً من الدول من الاستقلال النسبي عن الدولتين الكبيرتين أو إحداهما.

ثم جاء الحدث الآخر الكبير: وهو حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩١م، وهي حرب شبه عالمية لكن من طرف واحد ودون تكافؤ في القوى. وانتهت هذه الحرب بانتصار أمريكي غربي أضيف إلى ذلك النصر التاريخي على المعسكر الشرقي. وهذان الانتصاران أتاحا لأمريكا نوعاً من السيادة العالمية؛ مستغلة تقدمها التقني والاقتصادي وقوتها العسكرية في تكريس هذه السيادة. فبدأ في هذا الظرف التاريخي ظهور مصطلحات جديدة وانتشارها؛ مثل «العالم الجديد»، ومثل «العولمة». وهذا المصطلح الأخير أخذ حظه من الانتشار باعتبار أنه يمثل حركة الهيمنة والسيادة الغربية بأسلوبها الحضاري الجديد، وظهرت أعمال وكتابات كثيرة لدى الغربيين تؤدلج هذه الفكرة مثل فكرة «نهاية التاريخ»، وكذلك فكرة «صراع الحضارات» وإن كانت سابقة لفكرة نهاية التاريخ إلا أنها شُهرت فيما بعد.

تعاريف:

العولمة تعريفات بعدد الدارسين لها حسب الانتماء الفكري والمستوى الثقافي والموقف منها قبولاً ورفضاً. ومما يجدر ذكره أن البعد الاقتصادي

يأخذ النصيب الأكبر في أدبيات الكُتّاب الغربيين عن العولمة لقوة تأثيره على الدول والمجتمعات وارتباط كثير من المجالات به . وكمثال لذلك كتاب : «فخ العولمة»؛ فإنه يركز على البعد الاقتصادي وأثره على المجتمعات الغربية . كما أن العولمة الاقتصادية هي المجال الوحيد الذي أُنقِصَ على تعريف له ؛ حيث تبنّى مؤتمر الأمم المتحدة للإدارة والتنمية UNCTAD تعريفاً لها يقوم على فكرة فتح الأسواق والتبادل الحر وتقليل سلطة الدولة على حركة الاقتصاد . لكن هذا المصطلح اكتسب فيما بعد دلالات استراتيجية وثقافية مهمة من خلال تطورات عديدة بدأت منذ منتصف التسعينيات من القرن الميلادي الماضي . ومن هنا لا نستطيع أن نتوقف عند هذه النظرة والرؤية الجزئية للعولمة ، وإن كانت مهمة . ولذا عبّر كثير من المفكرين والكتاب عن رؤية أشمل للعولمة . وهذه النظرة الشمولية بدأت تظهر أخيراً في الكتابات الغربية . ومن ذلك أن كاتين غربيين أصدرتا في عام ٢٠٠٠م كتاباً بعنوان : «إعادة النظر في العولمة» هكذا بصيغة الجمع Rethinking Globalization(s) .

ونستطيع أن نلخص أهم توصيفات العولمة وملامحها بما يلي :

هي التوجه الأيديولوجي الليبرالية الجديدة التي تركز على قوانين السوق ، والحرية المطلقة في انتقال البضائع والأموال والأشخاص ونعمومات في الاقتصاد ، وعلى فكرة الديمقراطية في البعد السياسي ، وعلى مفهوم الحرية شبه المطلقة والمساواة التماثلية في البعد الاجتماعي .

فهو نظام عالمي يشمل المجالات السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية ، كما يشمل مجال التسويق والمبادلات والاتصال .

ويرى بعضهم أنها فكرة تعبّر بصورة غير مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وتغريبه أو أمرته ؛ مستغلة التطور الحضاري الذي يشهده العصر وآلياته ومظاهره ؛ فالهيمنة العسكرية بواسطة الأحلاف العسكرية ، وأبرزها حلف الأطلسي ، والسياسية بواسطة الهيمنة على مجلس الأمن ، والاقتصادية من خلال المنظمات الدولية الاقتصادية مثل منظمة التجارة العالمية ، والاجتماعية من خلال مؤتمرات دولية وإقليمية ، والفكرية من خلال القوانين والاتفاقيات والصكوك الدولية في هذا المجال ؛ مدعومة بقوة دفع ضخمة بواسطة إمبراطوريات إعلامية وشبكة معلومات دولية (إنترنت) يسيطر الغربيون على معظمها ؛ فهي «الفيروس الليبرالي» حسب تجمع مناهضي العولمة في هضبة لارزاك جنوب فرنسا ؛ فاللواء انعقد لأخلاقيات الديمقراطية الليبرالية على مفهوم فوكوياما في نهاية التاريخ والذي ستنتهي بعده الجغرافيا ، فهي ظاهرة رأسمالية ليبرالية بقيادة أمريكية ، ينكمش فيها دور الدولة ، ويسير العالم وفق نسق وحيد ونموذج واحد هو الرأسمالية الليبرالية ؛ أي أنها (إمبريالية جديدة) بلغة اليسار ، أو (استعمار جديد) حسب المفكر الفرنسي جارودي .

وفي المقابل يرى بعض آخر أن العولمة هي التحايف نظري للإنسان يتسارع أثره مع تطور آليات الاتصال بين المجتمعات وتركيز الصناعات ، وتجاوز

المجتمع التقليدي، وأنها مظهر من مظاهر التطور الطبيعي الحضاري المعاصر، سبقه مرحلة الاستعمار العسكري ثم الاستعمار الثقافي السابقة لمرحلة العولمة؛ فالمجتمعات الأكثر حضارة تفيض على المجتمعات الأقل حضارة بشكل تلقائي عبر قنوات تصل بين المنبع والمصب؛ بسبب سهولة العلاقات وتجاوز العوائق والحواجز. فهو نظام رأسمالي أكثر تكاملاً وتطوراً، وليس رسمة للعالم بالمفهوم الغربي أو الأمريكي.

وقد يُعبر عن ذلك بطريقة أخرى فيقال: إن ما يحدث هو إفراز من إفرازات الدولة الحضارية في لحظة تضخم قوتها في المجالات المختلفة على العالم من حولها... هكذا يعبر بعضهم.

ويتفق كثير من المفكرين على أنها آلية يمكن أن تؤدي بشكل متسارع إلى نشوء نظام عالمي جديد بواسطة ثلاثية: التكنولوجيا، ورأس المال، والإدارة. وتشمل: السياسة، والاقتصاد، والثقافة، والاجتماع، والأعراف، ليؤسس القرية العالمية الجديدة التي تقوم على ثورة الكمبيوتر والاتصالات، والثورة المعلوماتية، والأسواق المفتوحة، والشركات متعددة الجنسيات؛ لتوحيد مصير الإنسانية.

هذه أهم الأدبيات في توصيف واقع العولمة ومستقبلها؛ على أن الساحة الفكرية المنظرية تفكر العولمة لا تخلو من اتهام صائب بالمبالغة لبعض هذه الأطروحات.

أسئلة العولمة:

تشير العولمة عدة أسئلة؛ أهمها:

- هل العولمة ظاهرة عفوية، أم أنها بإرادة مقصودة؟
- هل العولمة ظرفية أو أبدية (مرحلة تاريخية أم حتمية حضارية)؟
- هل نصلح الإنسان ليتوافق مع ظاهرة العولمة، أم نصلح الظاهرة لتلبية احتياجات الإنسان؟
- هل تراعي العولمة الهدف الاقتصادي المصلحي، أم الهدف الاجتماعي الأخلاقي؟
- هل العولمة ستزيد الفقير فقراً والغني غنى، أم أنها ستعالج أوضاع الفقراء؟
- هل العولمة ستؤدي إلى البطالة، أم إلى تحسين فرص العمل؟
- هل العولمة عقيدة جديدة، أم مصالح سياسية واقتصادية؟
- هل العولمة أمريكية، أم أنها مرحلة من مراحل الحضارة البشرية؟
- هل الأولوية المؤثرة في تشكيل مشروع العولمة لميزان القوى العسكري والسياسي، أم للتقدم في مجال التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات؟
- أو بمعنى آخر: هل العولمة مظهر من مظاهر التطور الحضاري الطبيعي

الذي يشهده العصر ولكنه يتم بمقاييس الأقوياء، أم أنها عقيدة تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم من قبل الأقوياء؟ ليكن الحال مزيجاً من الأمرين، فالسألة نسبية والنتيجة واحدة، وهي: سيطرة الأقوياء مادياً وحضارياً على الضعفاء مستخدمين قدراتهم وسبقهم في توظيف آليات العولمة وثمار التقنية لصالحهم؛ حتى تتم عملية «تغريب العالم» كما وصفها أحد الكتاب الغربيين، أو «أمركة العالم» حسب وصف أحد الكتاب الشرقيين، مستندين إلى مثل ما دعا إليه الرئيس الأمريكي السابق كليتون عندما قال: «إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نستشعر أن علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا»، وقبله مستشار الرئيس كارتر «زيجنيو بريجنسكي» (١٩٧٧-١٩٨٠م) الذي أشار إلى أن تقدم أمريكا التي تمتلك ما يزيد على ٦٥٪ من المصادر الإعلامية يمكن أن تكون نموذجاً كونياً للحدثة (عولمة النموذج)، فالتطوير والتحديث يساوي التغريب عند منظري العولمة وأرياب القرار فيها.

* * *

مجالات العولمة

تظهر العولمة في مجالات عديدة من مجالات الحياة التي تشكل شبكة العلاقات الدولية المعاصرة، وأهم هذه المجالات:

أولاً: المجال الاقتصادي:

وترتكز العولمة فيه على فكرة وحدة السوق، وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال، وحرية الاقتصاد، واتخاذ الدولار معياراً للنقد، وتحويل المجتمعات إلى مجتمعات منتجة هي مجتمعات الدول الصناعية، ومجتمعات مستهلكة هي مجتمعات الدول الأخرى؛ ليصبح مظهر التأثير الاستهلاكي للعولمة هو لبس الجينز، وشرب الكوكا كولا، وأكل الهمبرجر، ومشاهدة المحطة الأخبارية CNN، وكلها نتاج أمريكي، لدرجة أن الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميثيران وقف يخطب في الجموع المحتشدة محذراً من تفشي ظاهرة لبس بنطلون الجينز بين الشباب الفرنسي؛ لأنه مظهر من مظاهر الغزو الأمريكي.

ومن أبرز مظاهر العولمة الاقتصادية (خاصة بعد إنشاء منظمة التجارة العالمية WTO) عام ١٩٩٥م:

- هناك اتجاه متزايد نحو إنشاء سوق مالية عالمية موحدة تضم معظم أو كل البورصات العالمية، وتعمل لمدة ٢٤ ساعة، فبورصة لندن

وفرانكفورت اللتان تتعاملان بنحو ٥ آلاف مليار دولار، تتجهان للتوحد ومثلها بورصات أوروبية أخرى، وهذا من معاني قوله - عليه الصلاة والسلام -: «يوشك أن لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتظهر الفتن ويكثر الكذب، ويتقارب الزمان وتتقارب الأسواق»^(١).

- تحول الاقتصاد من الحالة العينية (التبادل بالسلع عينياً بيعاً وشراءً) إلى الاقتصاد الرمزي، والنبضات الإلكترونية، وزيادة حجم التجارة الإلكترونية، وما يجري اليوم في عالم رأس المال الورقي في المضاربات على العملة وفي الأسهم وما شابه ذلك؛ يزيد على ٣٠ ضعفاً على ما يتم في نطاق حركة البضائع، وهي نسبة تزيد هويتها باستمرار بين التجارة الفعلية والتجارة الورقية.

- ازدياد تحول رأس المال من وظيفته التقليدية كمخزن للقيمة ووسيط للتبادل إلى سلعة تباع وتشتري في الأسواق (تجارة النقود)؛ حيث يدور في أسواق العالم ما يزيد على ١٠٠ تريليون دولار، يضمها ما يقرب من ٨٠٠ صندوق استثمار، يتم التعامل اليومي بما يقرب من ١٥٠٠ مليار دولار.

- أصبحت المنافسة هي العامل الأقوى في تحديد نوع السلع التي تنتجها الدولة، ومن ثم فإن كثيراً من الدول قد تخلت عن إنتاج وتصدير

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١١٣/١٥.

بعض سلعها لعدم قدرتها على المنافسة، مثل: صناعة النسيج في مصر التي تأثرت أمام منافسة دول جنوب شرق آسيا.

- إعادة هيكلة الاقتصاد والسعي إلى التخصص في البلاد ذات الأنظمة الاقتصادية الشمولية أو شبه الشمولية.

وتستخدم العولة الاقتصادية عدداً من الوسائل والآليات:

١ - صندوق النقد الدولي والبنك الدولي: وهما منظماتان أعميتان. فالأول يقوم على ضبط النقد الدولي واستقراره واستخدام الإقراض بشروط قاسية لهيكلة الدول المحتاجة، والآخر يمارس عمليات الإقراض ودراسات الجدوى في مجال الإنشاء، والتعمير للدول المتضررة من الحروب والدول الفقيرة ضمن شروط قاسية على كثير من الدول المستفيدة.

٢ - منظمة التجارة العالمية: من خلال قوانينها في السلع والخدمات وحقوق الملكية الفكرية، ومن خلال هيئة فض المنازعات والتحكيم؛ حيث تحول مفهوم التجارة لدى المنظمة من مفهوم تقليدي إلى مفهوم يشمل: البيئة، والعمل، وحقوق الإنسان، والعمال. وهذه المؤسسات الثلاث تشكل ثالوثاً خطراً يمكن أن يمسك بخناق الدول الفقيرة، حتى يجعلها في تبعية شبه كاملة للغرب وشركاته.

٣ - الإغلاء والدعاية الإعلامية: وهي من أوضح الوسائل لترويج المنتجات الاستهلاكية، وتروج معها بشكل غير مباشر البيئات المطلوبة

التي هي إفراس للثقافة والمصالح الغربية، وتقوم إمبراطوريات إعلامية على خدمة الدعاية والإعلان، وتنفق الشركات الكبرى مئات الملايين من الدولارات سنوياً على هذه الخدمة.

٤ - الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات: التي نجح الكثير منها في الهيمنة على السوق بنوعية منتجاتها وخدماتها، وبضخامة رأس مالها، وباندماجاتها التي أدخلت العالم فيما سمي بعصر «الدينا صوريات الإنتاجية»، وروجت لفكرة «نهاية الجغرافيا» التي تعني اختراق هذه الشركات لحدود الدول والتدخل في شؤونها.

ولقد شهد العالم في الفترة الأخيرة اندماجات ضخمة بين شركات عملاقة Mega Mergers فمثلاً:

أ- في مجال السيارات: اندمجت مرسيدس مع كرايزلر.

ب- وفي مجال النفط: اندمجت شركة أكسون مع شركة موبيل.

ج- وفي مجال الاتصالات: اندمجت شركة AT&T مع برتش تذكوم.

د- وفي المجال المصرفي: اندمج Citi corp مع Travelers group.

ويكتفي أن نعلم أن رأس مال الشركات المتدمجة في مجال الحاسبات نكظ على مستوى العالم قد قفز إلى ٣ تريليون دولار عام ٢٠٠٤م، وقد

بلغت عام ١٩٩٩م ٢٤٦ مليار دولار، بينما كانت ٢١ مليار دولار عام ١٩٨٨م. حسب (dubipphoto media com).

وهناك صناعات أخرى لم تُذكر: كالتأمين، وصناعات الطائرات المدنية والحربية. وفي المجالات المذكورة أمثلة أخرى مهمة جداً.

وقد يكون من المناسب التذكير بالتغيير الذي طرأ على موقف الحكومات الغربية من مثل تلك الممارسات؛ فقد كانت تلك الممارسات تعد صيغة احتكارية يمنع منها القانون، ولكن اللعبة الاقتصادية تغيرت، والسوق كبرت، وأصبح التحدي ليس محلياً، بل ولا غربياً، وإنما على مستوى العالم كله؛ مما حدا بالدول الغربية إلى تجاوز الفهم التقليدي للاحتكار في أسواقها لمساعدة شركاتها للحصول على نصيب أكبر من السوق العالمية.

ثانياً: المجال الاجتماعي:

وذلك بتنميط العالم على نحو من نمط المجتمعات الغربية (تغريب العالم) ولا سيما أمريكا (الأمركة)؛ وذلك بنقل قيم المجتمع الغربي والأمريكي خاصة ليكون المثال والقُدوة، سواء ما نقل منها بإرادة مقصودة، أو ما انتقل منها نتيجة طبيعية لرغبة تقليد الغالب؛ لأن الأمة المغلوبة مولعة بتقليد الغالب؛ كما قال ابن خلدون.

وتسلك العولمة الاجتماعية وسائل لذلك؛ منها:

أ- المؤتمرات الدولية في مجال المرأة والشباب والأطفال والسكان والتنمية الاجتماعية والمستوطنات البشرية، والتي شهدتها حقبة التسعينيات من القرن الميلادي الماضي بشكل كبير وما زالت متواصلة؛ حيث تطرح وثائقها وتوصياتها نموذج الحياة الاجتماعية الغربية. ومثالاً على ذلك ما طرح في وثيقتي مؤتمر السكان في القاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين عن المرأة عام ١٩٩٥م.

ب- نقل السلوكيات والعادات الغربية من خلال المواد الإعلامية في القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت. والمثال على ذلك عيد الحب Valentine، وهي عادة غربية ذات أصول دينية وثنية لا أخلاقية غربية، وقد بدأ ينتشر حتى في المجتمعات المحافظة كـ بعض دول الخليج.

ثالثاً: المجال الفكري والثقافي:

وذلك بترويج الأيديولوجيات الفكرية الغربية، وفرضها في الواقع من خلال الضغوط السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية أيضاً؛ وذلك في مجالات عدة كحقوق الإنسان، والديمقراطية، وحقوق الأقليات، وحرية الرأي، وحتى يتحقق ما روج له دعاة العولمة من «نهاية الأيديولوجيا»، والتي تعني القضاء على الدين والفكر والقيم والأخلاق.

وتستخدم في ذلك آليات ووسائل منها:

أ- إصدار الصكوك والاتفاقيات الدولية المصوغة بوجهة نظر غربية

علمانية، والضغط من أجل التوقيع عليها، مثل: (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مكافحة التمييز ضد المرأة... إلخ). وهذه الاتفاقيات وإن كان فيها بعض الحق الناتج من توافق بعض مخرجات العقول المتجردة مع الشرائع السماوية؛ فهي مبنية أساساً على فكر لا ديني ومصوغة بوجهة نظر غربية صرفة، ولا يتيح القانون الدولي التحفظ على البنود الموضوعية المهمة فيها عند التوقيع عليها.

ب- إصدار القوانين من أجل استخدامها ضد دول العالم الثالث باسم حماية الأقليات، مثل قانون التحرر من الاضطهاد الديني الصادر عن الكونجرس الأمريكي الذي طالما لوحث به أمريكا ضد مصر والسعودية.

ج- إصدار التقارير الدورية للضغط الإعلامي والسياسي والاقتصادي على المجتمعات الأخرى، مثل إصدارات الكونجرس الأمريكي وتقارير وزارة الخارجية الأمريكية الدورية عن حقوق الإنسان، وإصدارات المنظمات العالمية الكبرى الدورية والاتحاد الأوروبي.

رابعاً: المجال السياسي:

وذلك من خلال استخدام الأمم المتحدة بعد الهيمنة عليها وعلى مؤسساتها السياسية المؤثرة، خاصة مجلس الأمن الذي تعد قراراته ملزمة عالمياً، واستخدام حق النقض (الفيتو) عند الضرورة أو التلويح باستخدامه لمنع أي قرار لا يريد الغرب وخاصة أمريكا. ولعل ما يجري الآن من تعسف أمريكي بدعم بريطاني، ومعاملة من بقية الأعضاء

الدائمين في استعمال هذه المنظمة العالمية لتكريس هيمنة أمريكا دليل على ذلك . وما كشفه (بطرس غالي) الأمين العام السابق للأمم المتحدة في كتابه : «بيت من زجاج» بعد خلافه مع أمريكا هو غيظ من فيض .

خامساً : المجال العسكري :

وذلك من خلال الأحلاف والمعاهدات العسكرية التي تعقدها الدول الكبرى ، وبخاصة أمريكا مع الدول الصغيرة ، ومن خلال الأحلاف الإقليمية التي تكون هذه الدول طرفاً فيها ، وكذلك من خلال حلف الأطلسي الذي حددت أهدافه تجاه الجنوب بعد أن كان تجاه الشرق بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي ، وانحلال حلف وارسو .

* * *

آليات العولمة التقنية

آليات العولمة التقنية هي الوسائل التقنية التي تعد ثمرة المعرفة العلمية ، ونتاجاً للشورة التقنية الضخمة التي يشهدها الغرب ؛ حيث تضاعفت الاختراعات التقنية بشكل كبير ربما يصل إلى معدل اختراع أو اكتشاف جديد كل دقيقتين . وأبرز مجال يشهد ثورة تقنية ضخمة هو مجال الاتصالات .

ومن مظاهر ذلك ما يلي :

- سوف يدور قريباً حول الأرض حوالي ٢٠٠٠ قمر صناعي للاتصالات المدنية سوى أقمار التجسس والأقمار ذات الأغراض العسكرية . ويكفي أن نعرف أن (بيل غيتس) صاحب شركة مايكروسوفت وعد بمفرده بإطلاق ٥٠٠ قمر صناعي لخدمة الاتصالات ونقل المعلومات حسب (شبكة الإنترنت للإعلام العربي ، ٢٠/٤/٢٠٠٤م) .

- تضاعف استخدام هذه التقنية عالمياً حتى جاوز الوقت الذي استهلك في الاتصالات ١٧٠ مليار دقيقة في عام ٢٠٠٤م ، وتضاعف سوقها حتى تجاوز الآن تريليون دولار سنوياً ، ويزداد بنسبة ١٠٪ سنوياً حسب (midallectcast-online.com) .

- ستقل تكلفة الاتصالات إلى أن تصبح شبه مجانية في غضون السنوات العشر القادمة. فعن طريق الإنترنت الآن بإمكان أي شخص في منطقة الخليج الاتصال بأوروبا وأمريكا بتكلفة لا تزيد عن ٤ سنتات للدقيقة.

- صرحت شركة كيوويست Qwest للاتصالات الأمريكية أن نظامها التقني الحديث يستطيع نقل كم هائل من المعلومات، يوازي ما تحويه مكتبة الكونغرس من واشنطن إلى أي مكان في العالم خلال مدة لا تتجاوز عشرين ثانية.

- التطور التقني القادم سيضم أجهزة التلفاز خاصة بعد تطوير الشاشة عالية الوضوح (High definition TV)، وسيكون الدخول إلى الإنترنت عن طريق التلفاز والتحكم بالبرامج أسهل. وقد بدأت الكثير من القنوات التلفزيونية بث برامجها عبر شبكة الإنترنت Web TV مثل: قناة CNN، وقناة الجزيرة، وغيرهما.

- ومع تطور كاميرات الفيديو الرقمية؛ سيكون بإمكان الأشخاص العاديين بث برامج ومعلومات عبر قنوات ومحطات شخصية خاصة بهم، كما هو الحال في مواقع شبكة الإنترنت.

- وفي مجال الإنترنت - وهي الشبكة التي حطمت القيود والحوجز وحقت وحدة معلومة - نرى أهمية هذه الشبكة وخطورتها من خلال سعتها ومحتوياتها، وحرية استخدامها وسهولته، ومن ذلك:

* مستخدمو الإنترنت أكثر من ٦٠٠ مليون مستخدم في نهاية عام ٢٠٠٣م، وهم يتزايدون بمعدل ١٥٠ مليوناً سنوياً في أمريكا ٢٩٪، وفي أوروبا ٢٣٪، وفي أمريكا اللاتينية ٢٪. كما أن مواقع الإنترنت (Web Sites) التجارية والحكومية والخاصة قد زادت على مليار موقع، وهي تزداد يومياً بشكل سريع.

* طرحت بدائل جديدة للتجارة مثل التجارة الإلكترونية E-Commerce، ونشأت الأسواق الإلكترونية، وتحققت وحدة للسوق العالمي، وضخت مليارات الدولارات في هذا السوق. ولمثل هذا الغرض أنشأت إمارة دبي مدينة الإنترنت. وقد يكون هذا بعض معنى ما روي عن النبي ﷺ في تقارب الأسواق في آخر الزمان.

* زادت صفحات الإنترنت في الفترة نفسها على ٢؛ ٤ مليارات صفحة، المستخدمون العرب حوالي ١٢ مليوناً؛ أي ٢٪ من إجمالي المستخدمين معظمهم في الإمارات، والسعودية، ومصر، والمغرب، حسب دراسة وحدة أبحاث مجلة إنترنت العالم العربي (bbc.com.uk).

* اشتعلت المنافسة في الآونة الأخيرة بين محركي البحث yahoo و Google؛ حيث يغطي الأخير حوالي ٣٠٪ تقريباً من الشبكة، وهو يعد أكبر محرك بحث على الشبكة، وقد كشفت شركة غوغل في عام ٢٠٠٤م عن نسخة متطورة جداً تتعلق ببرنامج للبحث الإلكتروني سيوفر ٢٨، ٤ مليار صفحة إلكترونية، تتواكب مع الزيادة اليومية المذهلة في عدد

صفحات الإنترنت (arabic.cnn.com).

وللعلم فإن الإحصائيات المتعلقة بالإنترنت ليست دقيقة؛ وذلك لصعوبة تحقيق ذلك في مثل نظام الشبكة، لكن المقصود هو تقريب الصورة.

مخاطر العولمة:

للعولمة مخاطر ضخمة ومفاسد جمّة من خلال تحوّل العالم إلى غابة إلكترونية يستعلي فيها الكبار على الصغار. وتظهر هذه المخاطر داخل المجتمع للدولة الواحدة، وكذلك داخل المجتمع العالمي، والشعور بالخطر يعكسه انتشار مصطلحات كثيرة من مثل: الهيمنة، والأمركة، والسيطرة، وعناوين مفزعة لمقالات وكتب مثل: العولمة - الخطر على الهوية والكيان، ومثل: نهاية الجغرافيا، نهاية التاريخ، نهاية الدولة القومية، نهاية الأيديولوجيا، نهاية الهوية، طوفان العولمة وغيرها. ومن أهم المخاطر:

الخطر المجتمعي:

يحذر علماء الإصلاح الاجتماعي من أن أسوأ ما يقع على الأمم هو انقسام مجتمعيها إلى طبقات الأغنياء والفقراء، وأن الآثار السيئة لتكديس الأموال في أيدي قلة من الناس تسبب تسلطهم وتحكمهم في مصير الكثرة، وتسخرهم لخدمتهم بغير حق. وكمثال لذلك أمريكا ذات النظام الديمقراطي. وكيف يؤثر المال في امتلاك وسائل الإعلام ومن ثمّ التأثير

على العملية الانتخابية؛ بحيث لا تعبر في النهاية عن رأي الأغلبية. ولهذا كان منهج الإسلام هو وجود تشريعات تمنع أن يبقى المال دولة بين الأغنياء؛ وقد ظهرت الطبقة والاحتكار من خلال إيجاد آليات وهياكل ومؤسسات اجتماعية، سواء كانت اقتصادية أم قانونية أم تشريعية، يتم من خلالها توجيه المال والسلطة والتأثير للأغنياء دون الفقراء، وتكرس انعدام الفرص أمام الفقراء في مزاحمة الأغنياء، بل ويكون المال والغنى معياراً لكثير من المناصب والمهام.

ومن ذلك التشريعات الخاصة ببعض الأسواق التجارية والبورصات، والتشريعات القانونية (غير المكتوبة) في أمريكا والمناحزة إلى فئة دون أخرى، ومن ذلك ما يظهر في طبيعة هيكل الأحزاب السياسية.

ثم إن الضغوط التنافسية والتسابق على كسب الأسواق تجعل القرار السياسي والقرار الاقتصادي يتحيز لرأس المال على حساب العمال والخدمات الاجتماعية؛ فكثرة الإعفاءات، وتخفيف الضرائب، وتقليل امتيازات العمال من أجل جذب وإبقاء الاستثمار محلياً، وحتى لا ينزح خارجياً، ولتخفيف تكلفة الإنتاج ورفع درجة تنافسية المنتجات الوطنية في الداخل والخارج. وقد حذرت مجلة Foreign Affairs الأمريكية في عدد سابق من نشوب ثورة اجتماعية عالمية بعد نقدها لفكرة العولمة؛ لأنها تترك وراءها الملايين من العمال الساخطين، وحالات اللامساواة، والبطالة، والفقير المستوطن، واختلال التوازن الاجتماعي، بالإضافة إلى

تخلي الدولة عن مواطنيها، ونشوء الطبقة الفاحشة داخل مجتمع الدولة الواحدة. كذلك تسبب تكريس الهوة بين الدول النامية والدول المتقدمة، وبين أغنياء العالم وفقرائه؛ بسبب النمو غير المتكافئ وتركز الثروة والطبقة، وتآكل الطبقة الوسطى على مستوى البلد الواحد وعلى مستوى الدول.

ومن مظاهر الخطر المجتمعي:

- ثلاثة هم أغنى أغنياء أمريكا على رأسهم (بيل غيتس) أغنى رجل في العالم (٦, ٤٦ مليار دولار) ثروتهم أكثر من ثروة قارة إفريقيا كلها التي فيها أكثر من ٧٩٠ مليون نسمة، وحوالي ٣٠٪ من الثروة في أمريكا يملكها ٢, ٢٧ مليون شخص من ٢,٩٢ مليون سكان أمريكا. (تقرير الثروة العالمية لعام ٢٠٠٤م) (<http://arabic.cnn.com>, www.balagh.com).

- تقرير جديد عن الفقر ستصدره الأمم المتحدة قريباً في عام ٢٠٠٥م أوضح أن العالم يوجد فيه أكثر من مليار شخص يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم وأكثر من ٢,٧ مليار شخص يعيشون على أقل من دولارين في اليوم. www.un.org.

- ٢٠٪ من سكان العالم يملكون ٨٠٪ من ثروته، والباقي من السكان يملكون الباقي من الثروة، ومن هنا ظهر مصطلح مجتمع الخمس أو مجتمع العشرين ثمانين حسب اصطلاحات العولمة الجديدة.

- حركة المال العالمي اليومي تزيد على ١٠ تريليونات دولار، يملك معظمه عدد محدود من الشركات والأشخاص في هذا العالم، معظمهم في العالم الغربي.

- التجارة الإلكترونية (السوق الإلكتروني) محتكرة في معظمها للغربيين خاصة أمريكا التي تحصل على نصيب الأسد من هذه التجارة، حيث بلغت حصتها في هذا السوق نسبة قريبة من النصف والباقي لبقية العالم، وخاصة الدول الغربية الأخرى، بينما الدول النامية لا تحصل إلا على واحد بالألف.

- خمس دول غربية فيها ١٧٢ شركة من أصل ٢٠٠ شركة كبيرة في العالم، وهي: أمريكا، واليابان، وفرنسا، وألمانيا، وبريطانيا. وهناك ٣٥٠ شركة كبرى لهذه الدول تستأثر بما نسبته ٤٠٪ من التجارة الدولية، وبلغت الحصة المثوية لأكبر عشر شركات في قطاع الاتصالات ٨٦٪ من السوق العالمي.

- أوضح تقرير الثروة العالمية للعام ٢٠٠٤م أن أغنى أغنياء العالم ٥٨٧ مليارديراً يملكون ٩, ١ تريليون دولار أي ما يساوي خمس الاقتصاد الأمريكي، وهذا يعادل ما يملكه ٤٥٪ من سكان العالم أي حوالي ٩, ٢ مليار شخص؛ حيث إن عدد سكان العالم في ٢٠٠٥م هو ٦,٥١٠ مليار نسمة.

- الدول الصناعية المستفيدة من العولمة يعيش فيها أقل من ٢٠٪ من سكان العالم .

- هناك توقعات بازدياد البطالة والفقير مستقبلاً؛ فحوالي ٣٠٪ من طاقات العمل تكفي حينما تدخل التقنية الإلكترونية في الإدارة وفي سوق العمل ، وقد قدرت منظمة العمل الدولية عدد العاطلين عن العمل مع بداية عام ٢٠٠٤م بنحو ١٨٦ مليون شخص مقارنة بـ ١٤٠ مليون قبل خمسة أعوام ، الأغلبية الساحقة في الدول النامية ، وذلك حسب توقع منظمة العمل الدولية (ilo.org) ، وحسب مدير منظمة العمل العربية فإن ٢٥ مليون عاطل في العالم العربي سيصلون إلى ١٠٠ مليون في غضون عشرين سنة إذا استمر الوضع الاقتصادي على وتيرته الحالية .

- الأرباح المتوقعة من اتفاقيات منظمة التجارة العالمية قد تصل إلى ٢٠٠ مليار دولار ، معظمها يذهب إلى الشركات الغربية ؛ بينما لن يحصل العالم العربي إلا على ١٪ منها .

- كل خمسة دولارات في العالم يملك الغرب أربعة منها ، ويترك دولاراً واحداً فقط لبقية مناطق العالم الأخرى .

- وفي مجال التكنولوجيا أنتج مليار كمبيوتر (مارس ٢٠٠٤م) ستتضاعف في عام ٢٠١٠م منها ٤٠٪ توجد في أمريكا ؛ بينما نجد واحداً من كل ثلاثمائة إفريقي يملك خطاً هاتفياً واحداً ، ونجد أن ٨٠٪ من مليار

مشارك في الهواتف الخلوية هم من العالم الغني وحصّة الشرق الأوسط منها لا تتجاوز ٣٪ ؛ بينما توصف بنغلادش بأنها صحراء هاتفية .

الخطر الثقافي :

محاولة صهر الثقافات الموجودة في ثقافة واحدة هي الثقافة الغربية ولا سيما الأمريكية ، وجعلها النموذج العالمي ؛ مستغلة التقدم التكنولوجي في مجال الاتصالات ، وما ترسله عبر الفضائيات من سيل جارف من المواد الإعلامية ، وتفريغ العالم من الهوية الوطنية والقومية والدينية ، وهو الأمر الذي أثار وزيرة الثقافة الدانماركية عندما اشتكت من هيمنة الثقافة الأمريكية ، وقالت : لم يعد يُحتمل هذا الغزو .
ومن مظاهر ذلك أيضاً :

- يوجد في العالم ٦٠٠٠ لغة ، لكن ٩٠٪ من برامج الإنترنت تبث باللغة الإنجليزية ؛ مما يسبب تهميشاً للغات الأخرى حتى اللغات الحية منها ؛ مما دعا الرئيس الفرنسي شيراك إلى الدعوة إلى إقامة تحالف بين الدول التي تعتمد لغات من أصل لاتيني ؛ للتصدي بشكل أفضل لهيمنة اللغة الإنجليزية ؛ وذلك لدى افتتاحه منتدى حول تحديات العولمة في ٢٠ / ٣ / ٢٠٠١م . ومن المعلوم أن الوكالة الفرنكفونية والمنظمة الدولية للفرنكفونية أنشئت لهذا السبب . كما أفادت دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة نشرت في ٨ / ٢ / ٢٠٠١م أن نصف اللغات المحلية في العالم في

طريقها للزوال، وحذرت الدراسة من أن ٩٠٪ من اللغات المحلية سوف تختفي في القرن الحادي والعشرين.

- استخدام بعض الصكوك الدولية والقوانين عند بعض الدول للضغط من أجل تغيير الهويات وصهر الثقافات، وكمثال على ذلك قانون (التحرر من الاضطهاد الديني) الأمريكي الذي تستخدمه في التدخل بشؤون العالم الإسلامي بدعوى حماية الأقليات، وإتاحة حرية ممارسة العبادة، وإقامة دور لها.

- الآثار الثقافية السلبية التي يمكن أن تنشأ من السير في فلك منظمة التجارة العالمية؛ حيث تتيح تفسيرات قوانينها الاعتداء على الخصوصيات الثقافية بدعوى تسهيل انسياب حركة التجارة العالمية.

الخطر الأخلاقي:

- وذلك بما يبيث عبر شبكات التلفزة والإنترنت من أفلام جنسية ومواد إعلامية تروج الفاحشة والرذيلة، وما يحققه الانفتاح العالمي من فرص لترويج الأنشطة غير الأخلاقية وتسهيل ذلك، وقد جاءت دعوات من العديد من المؤسسات في العالم لمواجهة الخطر الأخلاقي للعولمة، وعقدت ندوات ومؤتمرات من آخرها مؤتمر إسطنبول بعنوان «العولمة والقيم الأخلاقية» في سبتمبر ٢٠٠١م، حضره مندوبون من ٣٠ دولة، ومن مظاهر هذه المخاطر:

- بلغ هذا النوع من المواد والأفلام من الكثرة لدرجة أن ألمانيا التي يسمح قانونها؛ بعرض العملية الجنسية على المسرح مباشرة أمام المشاهدين، قامت بإغلاق ٢٠٠ موقع إباحي عام ١٩٩٦م. ولقيت تلك البرامج رواجاً كبيراً لدرجة أن استفتاءً في بريطانيا أظهر أن نسبة ١: ٣ من طلاب المدارس الثانوية يشاهدون أفلاماً إباحية.

- أعلن مركز البحوث القومي في الولايات المتحدة الأمريكية أن المواقع الإباحية تحقق أرباحاً هائلة تصل إلى مليار دولار أمريكي سنوياً، وأوضحت البيانات التي عرضها موقع N2 H2 والموجود في سياتل، والذي يتابع أعداد المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت أن الأرقام قد وصلت إلى ١٨ ضعفاً خلال الأعوام الستة السابقة لعام ٢٠٠٤م، وأنه في نهاية العام ٢٠٠٣م وصل عدد المواقع إلى ما يقارب مليوناً وثلاثمائة ألف موقع إباحي على شبكة الإنترنت، تضم ما يصل إلى مائتين وستين مليون صفحة، وأوضحت أن البحث في محرك «غوغل» عن مواقع إباحية يؤدي إلى العثور على أكثر من ثمانين مليون صفحة؛ أي حوالي ٧,٣٪ من جملة الصفحات.

هذا بالإضافة إلى المواقع التي تشرح طرق المخدرات ووسائل استخدام العنف، علماً أن نحو ٩٠٪ من الأفلام الأمريكية قائمة على العنف.

- استخدام جسد المرأة أداة نفعية مادية؛ وذلك بتضخيم الجانب الشهواني؛ حيث تعد المرأة سلعة يمكن تسويقها من خلال العروض التلفزيونية والإعلانات. وكذلك تعد المرأة آلة لتسويق السلع الاستهلاكية لمستحضرات التجميل والأزياء، ويظهر ذلك من خلال عروض الأزياء، ومسابقات ملكات الجمال. وقد توسعت مسابقات ملكات الجمال لتشمل ملكات جمال الإنترنت؛ فاستخدم جسدها وصوتها وشكلها لتعظيم المنفعة المادية.

وقد ظهر بذلك معنى قول النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش... الحديث» (متفق عليه).

وقوله في حديث آخر: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الزنا» وفي رواية مسلم: ويفشو الزنا (متفق عليه).

الخطر الاجتماعي:

ويتمثل ذلك بمحاولات الدول الغربية تحت مظلة الأمم المتحدة فرض أنموذجها الاجتماعي، وفرض قيم المجتمع الغربي المختلفة في مجال الأسرة والمرأة على العالم؛ من خلال المؤتمرات الدولية في المجالات الاجتماعية المختلفة، ومن خلال المؤتمرات الإقليمية وبنجان المتابعة لتوصيات هذه المؤتمرات المتعددة والمنشرة، والتي تدعو إلى اعتماد النموذج الغربي في الحياة الاجتماعية والسكان، كما أن توصيات هذه

المؤتمرات قد تصل إلى ما يشبه القرارات الملزمة. ومن الملفت أن رئيسة جمعية الأمهات الصغيرات في أمريكا حذرت المسلمين في مؤتمر السكان في القاهرة عام ١٩٩٤م بقولها: «لقد دمروا المجتمع الأمريكي، وجاؤوا بأفكارهم للمجتمعات الإسلامية حتى يدمروها، ويدمروا المرأة المسلمة، ودورها فيها»^(١).

ومن أبرز توصيات هذه المؤتمرات:

- الحرية الجنسية، وإباحة العلاقات الجنسية خارج إطار الأسرة، وتقليل قيمة الزواج.

- تكريس المفهوم الغربي للأسرة، وهو أنها تتكون من شخصين فأكثر ولو كانا من نوع واحد.

- إباحة الشذوذ الجنسي بكل أنواعه، ومن المعلوم أنه مُقرّ في بعض القوانين الغربية.

- فرض مفهوم المساواة الشكلي بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات والحياة العامة.

ومن مظاهر الاستجابة لهذه العولة الاجتماعية في العالم العربي نلاحظ:

- تزايد النشاط النسوي الوافد بما يحمله من فكر تغريبي، ومثاله:

(١) سقوط الحضارة الغربية - رؤية من الداخل.